المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651

العدد الثالث والعشرون _ شباط _2024

توظيف أسماء الحيوانات المعروفة في العصر الجاهليّ في قصائد المدح الأندلسيّة.

إعداد الباحث: حسن أحمد عبد العزيز الشيخ حمد

باحث في مرحلة الدكتوراه في جامعة الجنان – قسم اللغة العربية وآدابها

المقدمة :

إن الاختلاط بين الإنسان والحيوان، هيّأ للإنسان معرفة عميقة بحياة الحيوان وطباعه، فصوّر ذلك في شعره تصويرًا دقيقًا أتاح لنا تأمل عالمه العجيب، بل والتّسلّل إلى نفسيّته لسمات خفق مشاعره، يقول الجاحظ حول الاختلاط والتّجاور بين الإنسان والحيوان:

"هذه الأجناس الكثيرة ما كان منها سبعًا أو بهيمة أو مشترك الخلق فإنّما هي مثبوتة في بلاد الوحش..... وهي في منازلهم ومناسئهم فقد نزلوا كما ترى بينها، وأقاموا معها، وهم أيضًا من بين النّاس وحش أو أشباه الوحش"[1].

[1] الجاحظ: الحيوان، ص78/6.

ونتيجة لهذا الاختلاط أصبح الحيوان جزءًا من حياة الإنسان على مرّ العصور، حتّى أصبح سلوك الحيوان مضربًا للأمثال في الشّعر، وخصوصًا عند شعراء العصر الجاهليّ، فكان للقوّة يضرب مثل بملك الغابة الأسد، وللتّشاؤم يضرب المثل بالغراب، وللصّبر يضرب المثل بالبعير أو الجمل، لقدرته على تحمّل صعاب الصّحراء القاسية، وغيرها من الحيوانات. بل وأصبح بعض الشّعراء يصوّر لنا صراعه مع حيوان، يمكن أن يكون أسطورة كالغول، كما فعل الشّاعر الصّعلوك تأبّط شرًا، فالحيوان جزء مهم جدًا من حياة الإنسان، ويمكن كسب الحيوان تلك الأهمّيّة؛ لأنّه يعيش مع الإنسان في نفس البيئة ويشاركه نفس الطعام واعتمادها الاثنين معًا على الأرض والمطر، فلهذا درس شعراء الجاهليّة حياة الحيوانات ووصفوها في شعرهم، وكذلك فعل شعراء العصور الّتي جاءت من بعد الجاهليّة، وأخصّ بذلك أهل الأندلس، فلبيئتهم الّتي كانوا يعيشون بها، جعلت مخالطتهم للحيوان كبير الأثر، ووظّفوا شعر شعراء الجاهليّة في الحيوان، بقصائدهم كما سنرى ذلك لاحقًا.

فالشّاعر يحيى الغزال ذكر في قصيدة يمدح فيها الحكم، وهو يشبّه القوّة بالصّقر، وهذا شيء معهود في الجاهليّة، عندما كان العرب يشبّهون الشّجاعة بالصقر، فقال يحيى الغزال: [الطويل]

كأن الملوك الغُلَّب عندك خُضَّعًا *** خواضع طير يتقي الصقر لُبّد

تقلب فيهم مفلة حكمية *** فتخفض أقوامًا وقومًا تُسوِّد[2]

فيقول له إنّك ملك شجاع وباسل فالملوك جميعهم خاضعون ومنقادون لك، كما الطّيور تتّقي وتتجنّب الصّقر لبسالته وقوّته، وهذا التّشبيه معروف عند شعراء الجاهليّة، منهم الشّاعرة الخنساء، فنجد هذا المعنى واضحًا في قصيدتها في وصف صخر أخاها، فقالت [الكامل]:

حَتّى إِذا نَزَتِ القُلوبُ وَقَد *** لَزَّت هُناكَ العُذرَ بِالعُذرِ

وَعَلا هُتافُ الناسِ أَيَّهُما *** قالَ المُجيبُ هُناكَ لا أَدري

بَرَزَت صَحيفَةُ وَجهِ والِدِهِ *** وَمَضى عَلى غُلوائِهِ يَجري

أَولى فَأَولى أَن يُساوِيَهُ *** لَولا جَلالُ السِنِّ وَالكِبرِ

وَهُما كَأَنَّهُما وَقَد بَرَزا *** صَقرانِ قَد حَطّا عَلى وَكرِ[3]

فهي تمثّل صخرًا وأباه أنّهما كالصّقر حين قاتلا العدوّ بشدة بأسهما في الانقضاض على الأعداء، كأنّهما صقران نزلا من علوٍ على وكرٍ.

[2] ديوانه، ص45.

[3] ديوانها، ص65.

والشّاعر ابن هانئ الأندلسيّ، يوظّف نوعًا آخر من الحيوانات الّتي كثر استخدامها في العصر الجاهليّ، بل هذا الحيوان هو الرّمز الأصيل للعرب، ورمز للفروسيّة والقوى، ألا وهو الفرس أو الخيل، فيقول ابن هانئ الأندلسيّ [الرجز]:

أينَ المَفَرُّ ولا مَفَرَّ لهارِبٍ *** ولكَ البسيطانِ الثّرى والماء

ولكَ الجواري المُنشَآتُ مواخِرًا *** تَجري بأمركَ والرّياحُ رُخَاء

والحامِلات وكلّها محمولَةٌ *** والنّاتِجات وكلّها عذراء

والأعوجيّات التي إن سُوبقَتْ *** سَبقَتْ وجَرْيُ المذكيات غِلاء

الطائرات السّابحات السّابقا *** ت الناجيات إذا استُحِثّ نَجاء[4]

فالأعوجيّات هي جمع أعوجيّة، وهي الخيل المنسوبة إلى أعوج وهي فرس كريمة، ذكرها شعراء الجاهليّة في قصائدهم، وأم أعوج هي فرسة اسمها سوادة، وسبل هو أبوها[5].

وهي تُعدّ من أحسن الخيول لأصالتها، وإنّ أصلها عربيّ، وقد ذكرها الكثير من شعراء الجاهليّة منهم الشّاعر **ذو الإصبع العدوانيّ** وهو حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة ابن وهب بن ثعلبة بن ظرب من بني عدوان[6].

---

[4] ديوانه، ص19.

[5] الأصمعي: كتاب الأصمعيات.

وفيها قال: [الطويل]

وفيهم رباط الأعوجيات والقنا *** وأسيافهم فيها القضاء المجربُ
وهم جمرات الحرب لم يلف مثلهم *** إذا لم يكن لناس في الأمر مذهب
وجوههم تندى وتندى أكفهم *** إذا لاح برق للمخيليين خلب
سليم وعدوان وفهم تناولوا *** مفاخر عز لم تنهلهن يعرب[7]

في هذه القصيدة الّتي يمدح فيها ذو الإصبع العدوانيّ بقومه، ويفخر بهم يذكر أنّه فيهم أجود أنواع الخيل، أي أنّهم يمتلكون أجود أنواع الخيول هي الأعوجيّات.

وفي توظيف جديد لابن هانئ، جاء به بذكر حيوان أو طائر آخر هو طائر "القطا" في قصيدة يمدح فيها الخليفة المعزّ لدين الله ونجد فيها توظيفًا للتّراث القديم، إذ يقول من هذه القصيدة [الرجز]:

فقُدْنا إلى الوَحشِ أشْباهَها *** ورُعْنا المها فوقَ مثلِ المَها
صَنعْنا لها كلّ رِخْوِ العِنانِ *** رَحيبِ اللَّبانِ سليم الشّظى
يُرَدُّ إلى بسطةٍ في الإهاب *** إذا ما اشتكى شَنَجًا في النَّسا
كأنّ قَطا فوق أكفالها *** إذا ما سَرَينَ يُثِرْنَ القَطا
عواري النّواهقِ شوسُ العيونِ *** ظِماءُ المفاصلِ قُبُّ الكُلى[8]

---

[6] ديوان ذو الإصبع العدواني، ص6.
[7] م. ن، ص28.
[8] ديوان ذو الإصبع العدواني، ص25.

ف "قطا" في صدر البيت هي جمع قطاة وهي العجز، وما يهمّنا وما نبحث عنه هو قطا في عجز البيت وهي طائر في حجم الحمام، وهو نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصّحراء ويتّخذ أفحوصه في الأرض، ويطير جماعات ويقطع مسافات شاسعة، وبيضه مرقّط[9]، وقد عرف أهل الجاهليّة هذا النّوع من الطيور، وذكروه كثيرًا في أشعارهم، منهم الشّاعر الشّنفرى حيث ذكر الشّاعر طائر القطا في قصيدته المشهورة الّتي سمّيت بلاميّة العرب، حيث قال [الطويل]:

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ *** وَلِلْصَبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ

وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِراتٍ وَكُلُّها *** على نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ

وَتَشْرَبُ أَسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَما *** سَرَتْ قَرَبًا أَحْنَاؤُها تَتَصَلْصَلُ

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وأَسْدَلَتْ *** وشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ[10]

فالشّاعر هنا يذكر طائر القطا، يقول عنه شارح الدّيوان هو نوع من الطّيور مشهور بالسّرعة، لهذا قال عنه الشّنفرى إنّي أريد الماء إذا سايرت القطا في طلبه، فأسبقها إليه لسرعتي[11]، وهو معروف عنه السّرعة والعُدو السّريع.

---

[9] ديوان ابن هانئ، ص25.

[10] ديوانه، ص66.

[11] ديوان الشنفري، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ص66.

وفي قصيدة أخرى يمدح فيها الشّاعر ابن هانئ جعفر بن علي الأندلسيّ نجد لديه توظيفًا لحيوان، ذكره أصحاب الجاهليّة في شعرهم، فيقول ابن هانئ من هذه القصيدة [الكامل]:

وأعِرْ جَناني فتْكَةً مِنْ دَلّه *** كيما أكونَ بها الشجاعَ المِحْرَبا

وأمِدّني بتَعلّةٍ مِنْ رِيقِهِ *** حتى أُقَبّلَ منه ثَغْرًا أشْنَبا

واجعَلْ مَحَلّي أن أراه فإنّني *** سأفُضّ بين يديْهِ هذا المِقنَبا

أوَلم يكن ذا الخشْفُ يألفُ وَجرَةً *** فاليوْمَ يألَفُ ذا القنا المتأشّبا

عَهْدي به والشمس دايَةُ خِدرِهِ *** تُوفي عليه كلَّ يوْمٍ مَرقَبا[12]

فالشّاعر في هذه القصيدة يذكر حيوان هو (ذا الخشف)، والخشف هو ولد الظّبي، وقد ذكره شعراء الجاهليّة في عدّة مواضع من قصائدهم، واستفاد ابن هانئ من ذلك الذّكر فوظّف الخشف في قصيدته المدحيّة هذه، فالشّاعر الجاهليّ الصّعلوك تأبّط شرًا يذكر في إحدى قصائده، أم الخشف، وقال عنها محقّق الدّيوان، بأنّها أمّ الظّبي الصّغير، وهذا دليل على أنّ الخشف كان معروفًا في الجاهليّة، ووظّفه شعراء الأندلس في شعرهم، حين قال الشّاعر تأبّط شرًا في إحدى قصائده [البسيط]:

[12] ديوانه، ص46.

نَجوْتُ منها نَجائي مِن بَجِيلةَ إِذْ *** أَلْقَيْتُ ليلةَ خَبْتِ الرَّهِط أَرواقى

ليلةَ صاحُوا وأَغْرَوْا بِي سِرَاعَهُمُ *** بِالعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابنِ بَرَّاقِ

كأَنَّما حَثْحَثُوا حُصًّا قوادمه *** أَو أُمَّ خِشْفٍ بِذى شَثٍّ وطُبَّاقِ

لا شيءَ أَسْرَعُ مني ليس ذا عُذَرٍ *** وذا جَناحٍ بجنْبِ الرَّيْدِ خَفَّاقِ[13]

وفي نفس القصيدة لابن هانئ نجد توظيفًا آخر لحيوان مهمّ جدًا في حياة العرب قبل الإسلام، وكذلك بعد الإسلام والعصور التّالية وهذا الحيوان هو الجمل، وللجمل عند العرب تسميات أخرى سنرى ذلك في قصيدة ابن هانئ حين قال [الكامل]:

يومَ اشتكى حرَّ الغليل فقيلَ قد *** جاوزتَ في وادي الأحصّ المشربا

وكفاكَ أن أطرَيتَهم ومَدَحْتَهم *** جهْدَ المديح فما وجدتَ مكذِّبا

الواهبينَ حِمىً وشَولًا رُتَّعًا *** وأباطِحًا حُوًّا وروضًا مُعشِبا

والخائضينَ إلى الكرائه مثلَها *** والواردينَ لُمىً لُمىً وثبىً ثبى[14]

فالشّاعر ابن هانئ يذكر حيوان الجمل، بتسمية أخرى هي (الشّول)، فالشّول هنا معناها الإبل، كما قال محقّق الدّيوان، وقد ورد في الشّعر الجاهليّ هذا النّوع من الإبل الذي يطلق عليه اسم

[13] ديوانه، ص133.

[14] ديوانه، ص46.

الشّول فيعدّ هذا توظيفًا لابن هانئ للتّراث القديم في شعره عند استعماله ألفاظًا استعملها أهل الجاهليّة ليعطي القوّة لقصيدته، وليثبت أنّه يمتلك من الفصاحة والبلاغة ما تساعدانه على مجاراة كبار شعراء الجاهليّة الذين امتازوا بقوّة الفصاحة وعلّة البيان لديهم والبديع، ومن هؤلاء الشّعراء الجاهليّين الذين ذكروا هذا النّوع من الإبل (الشّول)، هو الشّاعر الجاهليّ، فالشّاعر الجاهليّ طرفة ابن العبد قد ذكر هذا النّوع من الإبل في معلّقته، إذ قال [الطويل]:

أَمُوْنٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهَا *** عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

جُمَالِيَّةٍ وَجْنَاءَ تَرْدَى كَأَنَّهَا *** سَفَنَّجَةٌ تَبْرِي لأَزْعَرَ أَرْبَدِ

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعَتْ *** وظِيْفًا وظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعْبَّدِ

تَرَبَّعْتِ القُفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعِي *** حَدَائِقَ مَوْلِيَّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ

تَرِيْعُ إِلَى صَوْتِ المُهِيْبِ وتَتَّقِي *** بِذِي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ[15]

فالشّول: النّوق الّتي خفت ضروعها وقلّت ألبانها، الواحدة شائلة بالتّاء لا غير[16]، وهي ما ذكرها ابن هانئ في قصيدته المدحيّة ووظّفها فيها.

[15] ديوانه، ص29.

[16] الزوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص68.

وفي توظيف آخر للشّاعر ابن هانئ في قصائده المدحيّة، وهذا التّوظيف جاء باثنين في واحد، أي توظيفين لنوعين مختلفين من الحيوانات الّتي ذكرها شعراء العصر الجاهليّ، ففي قصيدة مدح فيها الخليفة المعزّ لدين الله وهو بالمنصوريّة، ذكر نوعين مختلفين من الحيوانات والطّيور الّتي ورثها من شعراء الجاهليّة، فقال من هذه القصيدة [الكامل]:

وباتَ لها منّي على ظَهْرِ سابِحٍ *** أشمُّ أبيُّ الظُّلمِ من آلِ ظالمِ

وأسْهَرَهَا جَرُّ الرّماحِ على الثرى *** بأيدي فُتُوّ الأزدِ صُفْرِ العمائم

فهل تبلغنّيها الجيادُ كأنّها *** أعِنّتُها من طولِ لوكِ الشّكائم

منَ الأعوجيّاتِ التي ترزقُ الغنى *** وتَضْمَنُ أقواتَ النُّسورِ القشاعم

من اللاّءِ هاجتْ للنّوى أريحيّتي *** وهزَّتْ إلى فُسْطاط مصرَ قَوادمي[17]

فالشّاعر ابن هانئ ذكر في التّوظيف الأوّل الخيل الأعوجيّات الّتي تكلّمنا عنها سابقًا، سأكتفي فقط بالإشارة لها.

وما يهمّنا هو النّوع الثّاني من التّوظيف، وهو ذكر القشاعم: جمع قشعم وهو المسنّ من الرّجال أو النّسور[18].

[17] ديوان ابن هانئ، ص280.

[18] م. ن، ص280.

وكلا المعنيين فالشّاعر ابن هانئ قد وظّفهما في شعره من التّراث الجاهليّ، فهذه اللّفظة الّتي تتحمّل معنيين، قد ذكرهما شعراء الجاهليّة في قصائدهم، ولم يأتِ بشيء جديد، بل هو توظيف للتّراث القديم في شعره، ففي المعنى الأوّل الذي يقصد الرّجل الكبير في العمر أو المسنّ من الرّجال فقد أتى على المعنى في قصائده وبالتّحديد في معلّقته المشهورة، إذ قال [الطويل]:

وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ *** فَلاَ هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ

وَقَالَ سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَّقِي *** عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِيَ مُلْجَمِ

فَشَدَّ فَلَمْ يُفْزِعْ بُيُوتًا كَثِيرَةً *** لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِلاحِ مُقَذَّفٍ *** لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ[19]

وفي المعنى الثّاني وهو النّسور، فقد قال في ذلك الشّاعر الجاهليّ عنترة بن شدّاد العبسيّ في معلّقته، وكان يقصد به النّسر ونوعًا خاصًّا من النّسور هي النّسور الّتي تكون كبيرة في السّنّ، فقال [الكامل]:

وَلَقَد خَشيتُ بِأَن أَموتَ وَلَم تَدُر *** لِلحَربِ دائِرَةٌ عَلى اِبنَي ضَمضَمِ

الشاتِمَي عِرضي وَلَم أَشتِمهُم *** وَالناذِرَينِ إِذا لَم اَلقَهُما دَمي

إِن يَفعَلا فَلَقَد تَرَكتُ أَباهُم *** جَزَرَ السِباعِ وَكُلِّ نَسرٍ قَشعَمِ[20]

[19] ديوانه، ص115.

ISSN: 2709-5312

فيقول: إن يشتماني لم يستغرب منهما ذلك، فإنّي قتلت إيّاهما، وصيّرته جَزر السّباع وكلّ نسرٍ مُسِنّ[21].

وأمّا الشّاعر ابن دراج القسطليّ له في توظيف أسماء وصفات الحيوانات الّتي ذكرها أهل الجاهليّة في قصائده المدحيّة حظّ منها، ففي قصيدة يمدح فيها المنصور منذر بن يحيى يذكر نوعًا أو اسمًا من أسماء الإبل الّتي ذكرها شعراء الجاهليّة، فيقول من هذه القصيدة [الطويل]:

وتحنانُ رَعْدٍ صادِعٍ لمتُونِهِ *** كما زَفَرَتْ نَفْسِي بِمَنْ أنا كاتِمُ

وَمِيضٌ تَشبُّ الرِّيحُ والرَّعْدُ نارَهُ *** كما شَبَّ نيرانَ المَجُوسِ الزَّمازِمُ

حَمِيل بحَمْلِ الرَّاسِياتِ إِلَى الَّذِي *** تَحَمَّلَنِي عنه القِلاصُ الرَّوَاسِمُ

وما أَنجَدَتْ فِيهِ النُّجُودُ تَصَبُّرِي *** ولا أَتهمَتْ وجدِي عَلَيْهِ التَّهائِمُ[22]

والقلاص جمع قلوص وهي النّاقة الشّابّة، وهي الأنثى الشّابّة[23]، وهذا الاسم أطلقه العرب القدامى على هذه النّاقة الشّابّة، وقد ذكرها شعراء الجاهليّة في قصائدهم.

---

[20] ديوانه، ص20.

[21] الزوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص230.

[22] ديوانه، ص159.

[23] المنجد في اللغة والأعلام، ص650.

وفي نفس القصيدة يوظّف الشّاعر ابن دراج جزءًا من حيوان تكلّمنا عنه كثيرًا في هذا المطلب هو الإبل، فالإبل كما قلنا تُعدّ من النّفائس عند العرب، حتّى أنّهم جعلوا لكلّ جزء من اسمها تسمية خاصّة، فأطلقوا على خفّها اسم "المنسم" الذي هو طرف خفّ البعير، وقد وظّف ابن دراج هذا في قصيدته استفادة من أهل الجاهليّة، فقال في هذه القصيدة [الطويل]:

وأُطْلِعُهُ شَمْسًا عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ *** يُكَذِّبُ فِيهَا عن سَنَا الشَّمْسِ زَاعِمُ

فَيَحْسُدُنِي فيكَ العِرَاقُ وَشامُهُ *** وإِيَّاكَ فِيَّ عَبْدُ شَمْسٍ وهاشِمُ

بُخِسْتُ إِذَنْ سَعْيِي إِلَيْكَ وهجْرَتِي *** وَمَا حَمِلَتْ مِنِّي إِلَيْكَ المَناسِمُ

وبِينَ ضُلُوعِي بِضع عَشرَةَ مُهْجَةً *** ظِماءٌ إِلَى جَدْوى يَدَيْكَ حَوَائِمُ[24]

وقد ذكر المنسم، خفّ البعير الشّاعر الجاهليّ زهير بن أبي سلمى في معلّقته، إذ قال [الطويل]:

رَأَيْتُ المَنايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ *** تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ *** وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

وَمَنْ لا يُصانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ *** يُضَرَّسْ بِأَنْيابٍ وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ يَكُ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ *** عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ *** يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[25]

[24] ديوانه، ص165.

[25] ديوانه، ص112.

ISSN: 2709-5312

فالمنسم هو خفّ البعير وهو بمنزلة السّنبك للفرس، والجمع المناسم[26].

وفي حكاية العرب ومعتقداتهم في التّشاؤم من الطّير، وخصوصًا طائر الغراب، فوظّف ابن دراج في إحدى قصائده المدحيّة هذا المعتقد، وخصوصًا أنّ العرب كانت تسمّي الغراب (الحاتم)، وكانوا يتشاءمون منه ومن نعيقه كثيرًا، فقال ابن دراج القسطليّ في قصيدة يمدح فيها الخليفة المنصور المنذر بن يحيى، وقد وظّف فيها هذا التّشاؤم من الغراب، فقال [الطويل]:

ولا رفعت إلّا إلـــــيكَ عُيونُهُ *** ولا ظأَرتْ إلّا عليــك روائَمُهْ

فلا راق إلّا في جـــبينكَ تاجهُا *** ولا قرَّ إلّا في يمــينك خاتَمُهْ

فكيف بذي جهلٍ تعسَّفَ مجهلًا *** يبرحُ واقيهِ ويَـــحتمُ حاتِمُهْ

فغالته في غولِ المهامهِ غُوُلهُ *** وهامتْ به في الترهاتِ هَوائُمهْ[27]

والحاتم: هو الغراب الأسود، وهو دليل الشّؤم سمي كذلك لأنّه يحتّم عندهم بالفراق إذا نعب أي يحكم[28]. وكثيرًا ما كان يذكر ذلك الشّعر الجاهليّ. والتّشاؤم من الحاتم الغراب الأسود هو معروف في بادئ الأمر عند العرب القدامى، إلى أن جاء الله بالإسلام، فحرّم الله (سبحانه

[26] الزوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص125.

[27] ديوانه، ص196.

[28] ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق: محمود علي مكي، ص50.

وتعالى) ونبيّه محمّد (ﷺ)، هذا الأمر، وقد ذكر الحاتم شعراء الجاهليّة منهم الشّاعر خثيم بن عدي[29]، إذ قال: [الطويل

وليس بهيّابٍ إذا شدّ رحْله *** يقول عدا بي اليـــوم واقِ وحاتمِ

ولكنه يمضي على ذاكَ مُقدمًا *** إذا صَدَّ عن تلك الهناتِ الحثارم[30]

فحاتم هو الغراب، والواقي هو الصُّرد، كأنّه يرى أنّ الزّجر بالغراب إذا اشتّق من اسمه الغربة، والاغتراب، والغريب[31].

المصادر والمراجع

1) الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ.
2) ديوان ابن خفاجة الأندلسيّ، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
3) ديوان ابن دراج القسطليّ، تحقيق: محمود علي مكي، طبع على نفقة السمة العالم الجليل الشيخ بن عبد الله آل ثاني حفظه الله، ط1، 1961م.

[29] خثيم بن عدي بن غطيف بن تويل بن عدي بن جناب. شاعر جاهلي من بني كلب. يلقب بالرقاص

[30] الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ص446.

[31] م. ن، ص447.

4) ديوان ابن هانئ الأندلسيّ، اعتنى به وشرحه: حَمدو أحمد طماس، دار المعرفة للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1426هـ -2005م.

5) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرحه وعلق عليه: محمد حسين، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، مصر، د.ت.

6) ديوان الشّنفرى، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربيّ، ط2، بيروت، لبنان، 1417هـ- 1996م.

7) ديوان النّابغة الذّبيانيّ، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلميّة، ط3، بيروت، لبنان، 1416هـ- 1996م.

8) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، مصر، 1984م.

9) ديوان تأبّط شرًا، تحقيق: علي ذوالفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1404هـ- 1984م.

10) ديوان ذي الإصبع العدوانيّ، تحقيق: عبد الوهاب محمد علي، ومحمد نايف الدليمي، مطبعة الجمهور، الموصل، العراق، 1393هـ- 1973م.

11) ديوان طرفة بن العبد، شرح: الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، ط2، البحرين، د.ت.

12) الزوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.